

٢ - سيوة

مبانى سيوة

إذا تساحت كثيراً يمكننى أن أقول إن سيوة فى مبانها ومنازلها وصوامعها تعادل فى تفصيلها وشكلها أحقر قرية من قرى وادى النيل . فالمنازل فى تلك الواحة تبنى بقطع من الملح والطين بغير نظام فى البناء أو حفر لوضع الأساس فى الأرض ، بل إن البناء و(أسميه بناء على سبيل المجاز) إذا أراد أن يبنى منزلاً فإنه يضع قطعة من الجبل يحدد بها أربع حوائط المنزل ، ثم يبنى بعد ذلك فوق سطح الأرض بقطع الملح والطين بارتفاع متر تقريباً ، ثم يترك تلك المبانى مدة اسبوع حتى تجف ، ثم يبنى فوقها متراً آخر وينتظر أسبوعاً ثانياً ثم يكمل البناء لسقف المنزل . وفى العادة أن الحجرات فى سيوة لا يزيد ارتفاع سقفها على مترين ونصف متر أو ثلاثة أمتار ، والحوائط يكون سمكها فى نهاية ارتفاعها أقل كثيراً منه وهى قريبة من سطح الأرض ، وتتكون الأسقف بعد ذلك من خشب النخيل ، وطريقة ذلك أن يشقوا بالطول خشب بعض النخلات المتينة ثم يضعوا أنصاف النخيل فوق الحوائط ويسمونها « قناطر » ثم يضعون فوقها ألواحاً يقطعونها من النخيل أيضاً ثم يغطون هذه الألواح بالطين .

ولبعد الواحة وصعوبة المواصلات إليها لا يمكن للسكان أن يحصلوا على أخشاب ليصنعوا منها أبواباً ونوافذ للمنازل ، ولذا فنوافذ المنازل صغيرة ، لا يزيد اتساع أحداها على نصف متر مربع ، ويصنعون النافذة نفسها من خشب صناديق البنزين التى تحملها سيارات النقل معها ، ولذا فالنافذة الصغيرة تعمل من أربعة مصاريع رغم صغر حجمها ، وتتكون المنازل عادة من طابقين ، وبعض الأغنياء يقيمون أمام منازلهم مظلات يجلسون تحتها وقت الحر الشديد ، لأنه من الصعب أن يتعرض إنسان لحرارة الشمس فى سيوة مدة الصيف ، إذ تصل درجة الحرارة فيها إلى ٤٨ سنتجراد ، وتمتاز سيوة بدروبها الضيقة وحواريها المتعرجة المتلوية ، حتى ارتبك مأمور البلدة كيف يضع أحد مصابيح الانارة فى إحدى الجهات لأنه وجد أن المصباح لن ينير إلا الموضع الذى هو فيه لكثرة الالتواء والانحناء ، ولأن المنازل متنافرة غير منسجمة الوضع

وعدا ذلك فإن جزءاً من القرية وهو الجزء الغربى مبنى على صخرة ترتفع تدريجياً عن باقى القرية ، ولذا تجد منزلين متقاربين يرتفع أحدهما عما يجاوره بما يقرب من ثمانية أمتار .

ومن الظواهر الواضحة فى سيوة أن الزائر لها يرى وهو فى وسط سوقها صخرة مرتفعة تشرف على ميدان السوق وقد علتها منازل من الملح والطين ونزعت سقوفها وتهدمت جدرانها ، وظهرت بشكل بشع مخيف ، وليست تلك المنازل إلا سيوة القديمة هجرها أهلها من فوق الجبل بأمر الحكومة من زمن غير بعيد وأقطعهم أراضى فى سفح الجبل وفى الأرض الواطئة المجاورة له فبنوا منازلهم الحالية .

وكان الأهالى يقطنون فوق الجبل فى تلك المنازل المتلاصقة ، وقد أحاطوا منازلهم بسور مرتفع يضم القرية كلها ، وفتحوا فى ذلك السور فتحات صغيرة كفتحات الحصون الكبيرة التى تعملها الجيوش لرؤية العدو ولاطلاق النار منها ، ووصل ارتفاع هذا السور فى بعض الجهات إلى نحو خمسين متراً ، وصنعوا فى ذلك السور عدة أبواب ضخمة من خشب النخيل كانت تقفل أثناء الليل حينما يأوى سكان الواحة إلى منازلهم .

وقد سألت عن الغرض من سكنى السيويين فى الماضى فى مثل هذا الحصن فوق الجبل ، فعلمت أنهم إنما فعلوا ذلك حفظاً لأنفسهم من هجوم أعراب الصحراء الغربية ، إذ أنهم كانوا يحضرون بالليل لنهب سيوة وسلبها .

وبدأت منازل سيوة القديمة فوق الجبل متجاورة كالعتاد فى كل القرى ، ولكن لما زاد عدد سكان الواحة بنوا منازل أخرى فوق المنازل القديمة حتى لا يخرجوا على السور الخارجى الذى هو حصن لهم ، ولذا فبدلاً من أن تتسع رقعة الواحة كلما ازداد سكانها بدأت ترتفع أبنيتها وهى فى نفس المساحة الضيقة التى ابتدأت فيها . وهكذا استمر الحال وبمرور الزمن ازدحمت الأبنية فوق بعضها ، وضائق أزقتها وشوارعها وتعرجت منافذها حتى أصبحت أشبه شئً بخليّة النحل ، بل وصل الأمر ببعض المنازل أن أصبحت وهى داخل السور أكثر ارتفاعاً من السور نفسه وأصبحت الشوارع لا تسع رجلين يسيران متجاورين فيها ، وأظلمت جميع أنحاء القرية من ارتفاع المنازل وضيق المنافذ التى توصل الضوء إلى فتحاتهم الصغيرة التى كانوا يفتحونها على أنها نوافذ ،